

المشرق

الحقائد المسيحية في الدياميس الرومانية

بتلم حضرة الحوري بولس سلمان

رومية ! تلك المدينة العظيمة التي انتشر ذكرها في العالم انتشار النهار لما جمعت في ربوعها من رفيع التذكار وجليل الأثر وما كانت عليه من الحضارة والممران أيام التياصرة الرومانيين والباباوات العظام الذين اقاموا فيها من انواع الزين وفنون البها. ما كفل لهم ثناء التاريخ على توالي الادهار لم تزل مهوى اقدسة الناس اجمع ومطمح ابصار البشر على اختلاف طبقاتهم وتباين مذاهبهم واميالهم يمر فيها المورخ فيقف في متاحفها ومكاتبها ويتأمل في رفيع مبانيها وما وعاه الدهر من بقايا الازمنة الخالية ويحيى في خاطره تربيخ نشأتها وتقدمها في جميع اطوارها فيتشغل قوادها وابطالها وامراءها وملوكها وشعراءها وخطباءها كيشرون وقرجيل ومن جادهم في مضار الآداب فيناجيهم على تنائي عهدهم ويحدثهم برقيق شعوره وتأثيره ٠٠٠ يمر فيها الناقدون والمصورون وارباب الفنون الجليلة فيتمهدون ببصائرهم تلك التائيل البديعة التي نقشها يد الكبراء كيكال انج وغيره من امراء الناشرين ورسومون في محفوظهم ما رسمته على النسيج اناهل رفايل ومن ضارعه من نجمة الراسين. هناك يعاينون تلك الاعضاء للنظمة ويستقصون كل حركة ولشارة من تلك المصنوعات الجليلة ويدونونها في خواطرمهم لأيام الصل - يمر فيها المؤمن وقد نالته عراطف الحب والابتهاج فلا يخبطو خطوة ألا يرى فيها حياة

الكنيسة الكاثوليكية. وكان الدهر الغائب ينبعث من لحده فيروي له تعازيب العذارى والشهداء. في مواضي الاجيال. وكان الاحبار الرومانيين ينشرون من مدافنهم ويتراون له بزمهم وفخرهم. هناك يجثو بالتحرب من قبر الرسولين بطرس وبولس فيجري دمه وينتطح صوته عن الكلام وتلتصق شفاهه على الرخام ساعة وهو يصلي بكاء واحترام. هناك يتجلى له حبر الاحبار بعظمتيه وسلطانه فيعابن بعين الايمان من وراء ذلك الجسم الانساني ما ناله من القدرة الالهية فيقف امامه وقد عجز اللسان عن الكلام لما تولاه من الهابة والوقار فتسيل عبراته ناطقة بافصح بيان ٤٦٠ ير في قلبه من عراطف الورع والاكرام

تلك المدينة غدت في عصرنا الحاضر رمى ابصار العلماء. يتواردون اليها ويتهدون ما فيها من البقايا والاثار وكان الله اءدها لتكون كمجتمع البراهين في عصر تغرد عن غيره بالاحقاد والنكران. وحسب الناظر ان يروح الطرف فيما تركه الدهر الغابر وما اورثنا ابائنا من جليل الميراث ويستنطق الاحجار وما رسم عليها من الكتابات الوفيرة ويعابن تلك التصاوير البديعة التي اصبحت كسلاح جديد للمدافعة عن الدين واربابه. ولقد استمنا بما سطره العالم دي روسي في مجلته المائة رومية الدياميس (Roma Sotterranea) وما رسمه السيد ويلبر (Mgr Wilper) في كتاباته الشهيرة. وقبل ذلك ناتي في مقاتنا ببعض الوصف للدياميس في دهرنا الحاضر وما كانت عليه في مواضي الازمان (١)

*

الدياميس هي مقابر عظيمة نُقرت تحت الارض في الربوع الرومانية طلباً لحاجات المسيحيين الاقدمين في مدافنهم وهي كثيرة الشامب تتعارض من كل الانحاء. ويجتري بعضها بعضاً وهي واقمة غالب الاحيان خارجاً عن اسوار المدينة على مقربة من الشوارع الرومانية الشهيرة. وقد عثر الاثريون على خمسين مقبرة من هذه المقابر الخفية ويقال ان مساحتها تنيف على ميتين وخمسين هكتاراً وطولها كلما يزيد على الف كيلومتر. وقد حفر القدماء، عينا وشمالاً نواويس صغيرة كانوا يكتفون الجثث ويضمونها

(١) فليراجع القراء المقالة الجميلة التي اقتطفناها في المشرق (١٣) ١٩١٠: ١٦١-١٧١ من خطاب لحضرة الاب دي لاروه اليسوعي في دياميس رومية

فيها . وكثيراً ما وَجَد الاثريون بالقرب من تلك العظام قنينة جنية بديعة الرسم مملوءة عطراً طيباً . وربما وقفوا على غير ذلك من الآثار . فان كان المدفون شهيداً وضموا في تلك الرجايات شيئاً من دم الطاهر واقاموا بالقرب من عظامه مصباحاً زئبوقاً بالكتابات والازهار . فقد سطروا على بعض المصابيح هذه الكلمات (Θεὸς Χριστὸς παύσαι εἶπαι) اي ان نور المسيح يضيء للكافة وفقاً لما قال السيد المجد : « ليعني نوركم قدام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويعجبوا بالكم الذي في السماوات » . وكانوا يمدون القبور بالرخام او الفخار ويدونون عليها اسم الميت ويوم رحيله الى الديار الخالدة . وربما اثروا عليه بتدبير رقيق نُسروا فيه مآثره وخصوا قلوبهم بصلوة الى المولى كي يدخله جنات السعادة والسلام

ولو رام القارئ ان يعرف صورة الاجداث في تلك الدياميس قلنا انها تشبه القنينة الصغيرة كانوا يدخلون فيها الجثث ويوارونها عن العيان . بيد ان اهل الثروة منهم كانوا يدفنون امواتهم في محل ارحب واطول يشيدون بالقرب منه مغدعاً كبيراً تنساب اليه الانوار من قوهة كقوهة الآبار فتزل اشعة ضئيلة تثير في القلب عواطف التقوى والاحترام

ولقد وصف المؤرخون حالة المؤمنين في هاتيك الازمان بما يورث الحزن والاكتئاب فكنت ترى المسيحيين أيلم الاضطهادات تازلين جماعات جماعات حاملين المصابيح في تلك الظلمات فيكاد الرعب ينشاهم . على انهم بين اشجانهم كانوا يتغنمون ترانيم الحمد والتسابيح . فما اعذب ما كانت تلك الاغانى الصادحة في الليل لتخطاط بانغام الجنة وسكان السماء . وايا حبذا لو رقم لنا الدهر تلك الاناشيد وهي صاعدة من اسفل الارض من نفس خائفة مكلمة هناك كانوا يرتلون اناشيد صهيون على انهار بابل بميدان عن اوطانهم وسماهم (مز ١٣٦ : ١) . وكانوا يستخدمون تلك المخادع لاعضاء الأسرة الواحدة وربما لشرك فيها بعض الاخلاق . مشيرين الى ان من جمعهم على الارض علائق الوداد والحب لا بد من ان تربطهم روابط التبوء واللحد حتى اذا تفتت عظامهم اختلط رمادهم واتحدت بقاياهم . هناك في تلك الكهوف كانوا يلتصقون لاقامة المواسم يوم عيد الشهيد او بمدسة مضت لدفعه فيحتفلون بالذبيحة الطاهرة وكسر الخبز . وقد بقيت تلك المخادع اللحدية وما يجاورها بزنتها

ورسومها وصورها الكثيرة الالوان وما رُقش على جدرانها من الكتابات. فاخذ العلماء، وعجُّو الآثار يرسومها ويصورونها قبل ان تغيب وتغيب عن الوجود لما يطرأ عليها من عوامل الايام وحوادث الازمان كالهوا، والرطوبة والانوار (١)

فبعد ان قدمنا تلك الملحوظات نقول: بدء الحقائق واساسها هي وجود الله ووحديته فان الثلاثة الوثنيين انفسهم ادركوا تلك العقيدة بتوقُّد ذهنهم واعمال الفكره وآل اسرائيل ورثوها عن ابائهم عصرًا بعد عصر بالوحي الالهي . على ان السيد المسيح زاد بان الله اب رحيم شفق يحب الخطاة ويرحم البائسين وعلمنا بان ندعوه ابا محبوباً ولذلك نرى الكتابات تسمي الله الالهاً رؤوفاً وشفيقاً وصالحاً (*ἀγαθός, ἐλεήμων, ἐλεεινός*) . يتبعنا من يوم نزولنا على ضفاف الحياة الى يوم وصولنا الى ابواب النعم وهو يتقدمنا بانعامه ويتلونا براحمه والطاقه . هناك المتفانيات الكثيرة نحو العلي كقولهم: « تَمَسَّ فِي اللَّهِ » (*Vivas in Deo, ἐν θεῷ*) ولربما سطروا ما كان عليه المانت من الايمان فأتوا نتلوه على ضريح احداهم: آمَنَ بآبَةِ الْوَاحِدِ (*in unum Deum credidit*) او آمَنَ بِاسْمِ اللَّهِ (*In nomine Dei*) (٢)

وكثير من الكتابات القديمة تقرأ بلاهوت المسيح الاقنوم الثاني من الثالث الاقدس . ودونك بعض النصوص فقد كتبوا على قبر احداهم هذه العبارة: لمَرس الذي يتبرح بسلام في اسم المسيح (*Marco, in pace in nomine * quiescit*)

(١) ومع كون الدهر قد لب بذلك التصاوير الجدارية وما عنها بعض الرسم قد توصل السيد ويلبر (Wilpert) بالخرائق الكيموية الحالية الى نقل رسوماها في كتاب له مشهور قرن فيه واسع العلم الى توقُّد الذكاء فجاء كتابه حافلاً بالتصاوير البدنية بالوراخا وليأتها وعظافها . ولقد قام من بعده نفرٌ كبير من ادباب العاديات واصحاب الآثار في عصرنا فكشفوا على درس تلك الجبابا وعادوا مذهبين عما هنالك من انواع التصاوير والكتابات . وقد امت تلك الآثار بما هي عليه من الرقة والدقة من اوضح الشواهد على ان الكنيسة في اول عهدا ربَّت ما بين مؤنثيا مشاهير رجال ونجبة راسمين وصورين ممن احبوا البديع فقتضوا حياضهم يسطرون ما رأوه من محاسن الطيعة وجمالها

(٢) ولم نسطر ما كانوا يسوتة (Graffiti) وهي كتابات كان يكتبها الزائرون في مواضع زيارتهم وبنيت هذه العادة بين الشرقيين الى يومنا فان زار احد كنيسة او عملاً مقدساً دون اسمه بالفتح او بقلم الرصاص فائلاً: اذكر يا رب عبدك فلاناً

ونجد في مقبرة كيرياكوس تلك الكلمات : انه يستريح في السيد المسيح (In Domi-
no Christo) . وربما طاروا بالفكر والقلب الى السماء فوضعوا هناك في تلك الديار
رجاءهم وافراحهم ومن ذلك قولهم : يا ريجينا ليتك تعيشين في السيد يسوع
(Regina, vibas in Domino Iesu) . ولدينا بعض الكتابات اليونانية وهي اقدم
عهداً من قسطنطين الملك حيث يعترف المؤمنون ويقرؤون مجلي البيان بلاهوت المسيح
قائلين : رقد في المسيح الاله : * Ev Θεῷ (١) او في السيد الاله (In Θεῷ Κυρίῳ)
وهذه الكلمة " كيربوس " مأخوذة من رسائل القديس بولس والمجل القديس لوقا
وهما يوردان تلك الكلمة بمعنى السيد المسيح الاله المتجد . وفي المتحف البندقي
(Venise) نجد قطعة رخام سُطرت عليها هذه الكلمات : In Do - mi - no
nostro D. C. T. اي نؤمن بـ سيدنا المسيح الاله . وفي مقبرة برسلاً كُتبت هذه
العبارة : آمن بالله يسوع المسيح ابن الله المخلص . وقد وضعوا صورة السكة لان
كلمة سكة باليونانية : ἰσθῦς وكل حرف منها مطلع اسم من اسماء المسيح اي
Ἰησοῦς Χριστός Θεοῦ Υἱός

واما لاهوت الروح القدس فقد ذكرته الكتابات كما نجد في مدفن القديس
كاليستوس حيث يقول اب لابنه العزيز كيرياكوس : ليتك تعيش في الروح القدس
(Kuriaco filio dulcissimo vibas in Spiritu Sancto) . وفي تلك المقبرة
عينها شاهد عماد السيد المسيح والروح القدس تازلاً على الابن بشبه حمامة بينا الما .
يجري بالتودة والوقار والاشجار تهتطرباً على شواطئ الاردن والحمامة ترفرف
باجنحتها فوق المياه وصوت الله على المياه ينساب كاللجج ويقول : هذا هو
ابني الحبيب الذي به سررت فله اسمعوا . . . وفي متحف كيرشر نجد هذه الكتابة
Ev ἀγίῳ Πνεύματι Θεῷ

ولنا عدد وافور من الكتابات تُنبئنا عن ايمانهم بالثالوث الاقدس وما كانوا
يبدون له من فرائض العبادة والسجود وقد حفظ لنا الدهر كتابة قديمة في مدفن
برسلاً وفيها تمجيد للثالوث الاقدس قال كاتبها : « يا اب الذين انشأتهم وخلقهم
امنح السلام لركلئ . لك المجد في المسيح المصلوب »

(١) ان هنا الرسم يدل على الكلمة اليونانية Χριστός اي المسيح

Ὁ Πάτερ τῶν πάντων ὅς ἐποίησες Κ. πατέρα σου εἰσὴν, ζῶν Κ.

Μαρκέλλον. Σολ δόξα ΧΙ' καὶ ἐν Ἁγῶ Πνεύματι

وان قابلنا تلك الكتابة بما ترجمه في صلاتنا اليونانية أتضح لنا جلياً أن الاعلانات في آخر الطلبات (Εκζητήσεις) هي قديمة العهد ترتقي الى الاجيال الاولى لأنها نتلوما في ليتورجيا القديس يعقوب وفي تعليم الرسل الاثني عشر (διδασχὴ τῶν δωδεκα Ἀποστόλων). وهذه كتابة اخرى وجدت في مقبرة دوميثلاً حيث يدحون يوكريانس ويقولون عنه انه « آمن بالمسيح يسوع وعاش في الأب والابن والروح القدس » (vixit in Patre et Filio et Spiritu Sancto)

وتجد في دياميس رومية صور الخليقة جمعا من الانسان الى الجماد. ففي بعض التصاوير نماين السماء مصورة بالنجوم السواطع والارض في ربيها مقربة حلة بديمة من ضروب الزهر وانواع الخضرة والاشجار تتمايل باغصانها والجداول تتراكم بين الصخور والاحجار او في السهول على الاعشاب وكافي بهم قد دعوا الخلائق باسرها تسجيد الباري جل جلاله. وقد صوروا ايضاً فصول السنة الاربعة وزينوا الجدران بالاطيار كالحمامة والناوروس والنعقا. والحمامة رمزاً الى النفس الطاهرة. والناوروس يثل القيامة لان ريشه يتجدد كل سنة مع تقادم الأيام. ولدينا رسم بديع من النجوم السماوية في مقبرة الاثيليين (Acilii) حيث ترى السماء بكواكبها اللوامع ترينها كتابة صغيرة رأها قسطنطين الملك وهي Ἰησοῦς νεκρῶς. اي بهذا تظهر وقد صوروا في الدياميس سقوط آدم وحواء في الفردوس. وقد نالت تلك العقيدة حظاً وافراً فيما بين الشعوب القداما. حتى رسوها في مابدهم وهياكلهم ودونوها في كتبهم. ولقد الفى اهل العلم تلك الحقيقة عند المصريين والبابليين والاشوريين واليونانيين والرومانيين واهل الشرق الاقصى كالصينيين والهنديين. على ان المسيحيين قد اصلحوا بما عرفوه بالوحي ما دخل فيها من الحكايات والارواح الباطلة. وقد صوروا آدم وحواء قبل السقطة وبعدها فهما طورا بالتقرب من الشجرة في الجنة يتطفان الثمرة المحرمة وطورا تراهما يميدن منها ويد متصاعدة من وراء السحاب تطردهما من الجنة. والحيّة ملتفة على الاعنسان وقد مثلوا السيد المسيح كالك على عرشه والناس بين يديه خاشعين مذعورين

وربما احاطوا به وسجدوا له مقدمين له فرائض السيادة والعبادة. وقد توفرت منذ القديم تصاويرهم في الرب يسوع ولطالما اعملوا الفكرة لاستنباط اجمل الوجوه وابدع الحركات والاشارات فلذلك تراهم يتفننون في رسومهم ولم يألوا في توفير عددها. واقدم رسم للمسيح ما كان رمزاً لاورفي (Orphée) وهو تادر الوجود نجده ثلاث مرات ومعناه لا يخفى على من عرف الاساطير والحكايات الوثنية. فكيف ان اورفي سحر الوحوش على زعمهم بانغام عوده والحان كتارته هكذا الرب يسوع ذلك المرثم الالهي قد غير طباع الوثنيين وما كانوا عليه من الترحش في عبادتهم البربرية بتا اناه من رفيع العالم وسامي العقائد. ولقد مثله المصورون سائراً بين السهول والاعلام حاملاً عوداً جيللاً يرثم ترانيم الربوع والجنات او جالساً على شواطئ المياه ينشد انغاماً ساروة فاذا سمته وحوش البراري والحيوانات الضارية سكن غضبها وانتادت الى غنائه المطرب. فيا حبذا ذلك الرمز وتلك الصورة التي تنطبق حق المطابقة على الرب يسوع وهو يجول في ربوع الجليل بين اشجار الناصرة او على شواطئ بحيرة طبرية او بين سفوح الكرمل او في اودية اليهودية. هناك على جبل التطريات ترنو اليه الجرع الكثيرة. هناك الشيخ البيض النواصي يصنون له باحترام ووقار. هناك الشبان يسخرون بمذب كلامه. هناك القوم كالبحر الساكن لا يبديون حراكاً امام ذلك الخطيب المصقع والشاعر المطرب امام ذلك المعلم الالهي

بيد ان صورة الراعي الصالح قد توفرت منذ الاجيال الاولى وفقاً لما ورد في الانجيل الكريم حيث قال الرب: انا الراعي الصالح وانا عارف برعيتي ورعيتي تعرفني. من رأى يوماً في جبال فلسطين ايام الربيع راعياً وانغامه ترح ما بين الاعشاب والازهار يخال له ان مصوري الدياميس جالوا في ربوع الشرق قبل العمل ورعوا تلك المشاهد مجالها وروقتها ثم مثلوها على الجدران. هناك في تلك التصاوير تمان الحنلان رقص بين الزروع الخضراء. هناك الحراف واتام والانغام جانلات على الصغور حانبات رزوسها بين الكلا او صاعدات في الجبل والراعي يقرب الى صوت الطبيعة انغام زمارة فتدوي طوراً مائة النضا. يتردد صداها في الجبال والاروا. ثم ينب سنياً فنياً في هدو القفر وسكون. وطوراً يتدفع هو نفسه في الفناء ليسر عن وحدته في تلك الانغام. هناك ترى الراعي الصالح يترك التهمة والتسمين خوفاً وينشد عن ضالته

حتى اذا وجدها حملها على اكتافه واتى بها فرحاً مسروراً ولذلك نصايته دائماً في تلك الصور حاملاً حملًا ناعم الصوف ساكن البال. وربما مثلوا جداول الماء والانتام منحدرات من اعلى الجبال لتتوي من تلك المياه. وربما وضوا الى جانبه انا. حليب رمزاً الى الافخارستيا (١). وكانوا يرتلون في انشيدهم: «يا رب نسالك انت الراعي الصالح ان تحمل نفس المائت على اكتافك الالهية وتدخلها في ربوعك الازلية»

وقد رسوا المسيح على صورة السكة لان السكة هي رمز الافخارستيا. وبما ثبت قولنا كتابة شهيرة يرتقي عهدا الى القرن الثاني سطرها ابرقيوس استق هيرابوليس من اعمال افريجية حيث قال: «كان الايمان يعي لي طعاماً اينما تزلت سكة من ينبوع غزلية طاهرة اصطادتها عذراء نقيّة وهي توزعها على الاحباب طول الايام ليقتاواها». وقرنوا الى هذه الصورة رسم الحمل الاقدس وفقاً لما ورد في الانجيل الكريم: هذا هو حمل الله الراقع خطايا العالم. وبما جئنا ما اتوا به من المعاني والرموز البديعة فانك ترى انهار الجثة الاربعة وعليها حمل ناصع الياس فالاتهار تشير الى الانجيل الاربعة التي انتشرت في اقطار العالم من تلك العالم السامية الالهية. وكثيراً ما رسوا الحمل تحت المرساة والمرساة هي رمز الى الصليب الذي علّق عليه الحمل المازي. وقد مثلوا الحمل وحمامة بيضاء. تقبل اليه بفرح وسرور حاملة عرق زيتون دلالة على ان النفس المحزونة السائرة في ارض الشقاء. اذا رعدت الى الرب في سرّ محبته تجد حينئذ سلام النفس وسكون الضمير. وربما اقبلت الحمامة تتند الى صدر الحمل لانه كما ان القديس يوحنا الحبيب استند رأسه الى صدر الرب في المشاء السري كذلك النفس الطاهرة تتند الى قلب السيد يوم تتناول في احشائها

ولو ربما تطير كل ما رسوه لوصف المسيح لطلال بنا الكلام ولم ننل ما تصبر اليه الرغائب والآمال. ولقد اخترنا بعض التصاوير من حياته المقدسة. فان المسيحين قد تعبوا السيد له المجد في اطوار حياته فصوروه وهو طفل رضيع يزنو الى امه الطاهرة فيسم لما ابتساماً ذا لطف ورفقة يعجز القلم عن وصفه وابداه. او ينظر الى

(١) راجع مقالة حضرة الحوري جرجس عزيز «الافخارستيا في الاديات المسيحية»

الجوس وهو يفتح لهم يديه الصغيرتين ويتمهد ما يُقدم له من الهدايا والتقادوم. ولما ترعرع وبدا كالثاب الرطب مثله على تلك الهيئة وعليه حلة خفيفة كثياب الرومانيين الاقدمين. وعلى هذه الصورة مثله وهو يصنع العجائب والآيات. وعقب الجبل الثالث حنّ المصورون لآت وجه المسيح وعطفاته حتى غدت صورهُ تقارب الكمال. فجعلوا له من ثم غديرتين تيلان على كتفيه وصرّوا عينيه على افضل ما رستها يد الانسان والقوا عليه مطرفاً واسع الاهداب

واذا نزل الزائر الى دياميس برسلأ يرى الملاك جبرائيل مرفرفاً باجنحة قاطمة النضاء الى ان يصل الى مريم العذراء فيقف امامها بالخشية والاحترام ويهديها التحيّة والسلام ثم يبشّرها بالخلص الوعوديه من نشأة الادهار. هناك يشاهد المرء فتاة تأسر الطرف حناً وبهاء تحني رأسها ولسان حالها تقول: «ليكن لي كقولك» ولقد اعيد رسمها في مقبرة كاليتوس. وقد رسوا عن عين العذراء الملاك جبرائيل قائلاً: ها انك نجبلين وتلدن ابناً ويدعى اسمه عمانوتيل. وعلى شمالها النبي اشيا ينظر في اسرار النبي مطراً تلك الكلمات نفسها. وفي مقبرة القديس سبتيان صوروا الطفل يسوع في احضان البتول مريم ودوّقوا هذه الكلمات: عرف الثور صاحبه والحمار معلفه واما لسراويل فلم يعرف خالته. وبما يجمل ذكره ما رسم هناك من الناظر الجليّة حيث نماين الجوس قادمين من بلادهم حاملين ذهاباً ولباناً ومرأ والنجم يلسع في كبد السماء. وقد البسهم العمامة والقنطرة الفارسيّة. وكثيراً ما طار بهم طائر الفكر الى شواطئ الاردن فتلوا عماد المسيح كما سطره الانجيليون. وقد صوروا اعجوبة المخلع (١) وهي رمز الى غفران الخطايا لان السيد قال له فيها: مغفورة لك خطاياك. وقال ايضاً: لكي تعلموا ان ابن البشر له سلطان على مغفرة الخطايا فانا اقول للمخلع لك اقول: قم احمل سريرك وامض الى بيتك. ومثلوا تكثير الخبزات (٢) وقيامه لماز من بين الاموات مرات عديدة (٣) وتحويل الماء خراً في عرس قانا. وهذه الصورة من ابداع ما رسمه الراسمون: هناك ترى الاعمدة الرقيقة تكاد تلتصق بالسماء

(١) قد صوروا هذه الصورة عشرين مرة في الديابيس

(٢) عدت تصاورها ثلاثين مرة (٣) مصورة خمسين مرة

هناك الموائد الكثيرة والمدعوون جالسون على المقاعد الزينة والحدم يذهبون من كل الجهات فيقدمون بترتيب ونظام انواع الاطعمة وضروب المأكول. وقد اکتثوا من رسم صورة يونان النبي في الديلميس اشارة الى قول الرب كما ان يونان بقي في بطن الحوت ثلاثة ايام هكذا المسيح يلبث ثلاثة ايام في بطن الارض ثم يقوم ظافراً على الموت والجحيم

٥

فبعد ان جثونا امام الابن صارخين مع الرسول : انت ربي والهي . هلم نعاين طلعة الام ونشاهد تلك الفتاة الالهية ونستدل بالتداوير عما كان لها من الاكرام والاجلال في الاجيال الاولى . هلم فتأمل بتلك الملكة العظيمة الجالسة على عرشها بشوب مذهب موسى . فقد سبقت التقيدين في الاكرام منذ الجيل الثاني ليس كما يزعم الملاحدون ان المجمع الانسي اول من اخترع اكرامها . ففي مدفن برسلاً نجد جالسة ثلة بالقرب من ابنها على عرشها واخرى حاملة الطفل يسوع والناس يكرمونها . وقد وجد الاثريون في مقبرة برسلاً ايضاً صورة يرتقي عهدا الى الرسل كما اتر به الجاحدون انفسهم . نشاهد النبي لسياً متدياً يرداء طويل حاملاً بيده الشمال درج الكتاب واليد الثانية تشير الى نجم يسطع في السماء اشارة الى قول يعقوب : وها ان نجماً يخرج من اسرائيل . والطفل الرضيع يدير الطرف الى النبي بلطف وحنن . وما يدل على اكرامهم للعدوا . مريم ما تراه في المقبرة نفسها فاننا نعاين شيئاً عن تين فتاة قسبي وبالقرب منه فتاة اخرى مكشوفة الراس وفي يدها درج . وعلى شمال المصلية شابة جالسة على عرشها وقد ارتأى السيد فيلبر في شرحه لتلك الآيه ان المسيحيين الاقدمين اشاروا بذلك الى تكريس عتمة وطهارتهم للبول مريم كما نشاهد في عصرنا الحاضر . فان تلك الفتاة تكرس عتمة التي هي اعلى من الثارويم واکرم من الساروفيم . وقد رسوا صورة البول منطاة الراس او مكشوفة وكثيراً ما رسوها على الزجاج وعلى التواويس بما لا يحصى لث عدد . وقد وجدوا لم العذراء مريم على كل مذهب محفوظ في المتحف اللاتواني

بيد ان الكنيسة كتبت ايضاً موضوع رسوماتهم تلك المصليات تمثل الكنيسة قاطبة تتضرع لاجل العالم اجمع . ولقد مثلوها كسفينة نوح فكدها الامواج في بحر

العالم - اثرة بين الصخور آمنة من غوائل المواقف والزوابع وكان الراسم اراد ان ينيي المؤمنين بتلك الصور انه خارجاً عن الكنيسة نجد الهلاك والبوار. وربما وجدنا المسيح نفسه يحلي باسطة يديه على شكل صليب دلالة على ان الكنيسة لا ينتقض منها حجر ولا تحشى ابواب الجحيم ما دام الرب معها الى منتهى الاجيال يتضرع من اجلها

ولم ينس المؤمنين ان يرسموا بطرس الهامة في الدياميس وفي رسومه دليل باهر على ان الرئاسة البطرسيّة لم تنشأ عن حب الترفع والطمع في حب المراتب كما زعم المنفصرون عن البيعة وارباب الضلال. ولقد جاءت الاكتشافات برهاناً ساطعاً على ان البابا هو راس الكنيسة (١) وله قال السيد المسيح في شخص بطرس: ارفع خزاني ارفع نعاجي. واذا تول الزائر الى تلك الدياميس او مدخل الرواتيكان وتبصر في تلك الآثار عجب كل العجب من وفرة ما يرى هناك من التصاوير القديمة التي تمثل الرسول بطرس فان هذا العدد الوافر ينبي. عما كان عليه هذا الرسول من الرفعة والاكرام في الادمار الاولى فضلاً عما جاءه الدمار من الآثار. ومن غريب ما يرى ان تلك الصورة ليست مبتكرة خيالية كصور المسيح بل تجري على رسم محدود وصورة معروفة معهودة والسبب بديهي وهو ان القديس بطرس عاش فيما بينهم مبشراً وكارزاً فانطبقت صورته في محفوظهم فرسموها كما عهدوها ودون ان يلحقوا بها تغييراً واصلاحاً. وكثيراً ما رسموا بطرس الرسول على الاقنوح والكروش وذلك في طبقتين من الزجاج الماوتن وزينوها بالذهب الخفيف على غاية الاتقان وزخرفوها بالزهر والورد وربما سطرورا عليها بعض كلمات كتولهم بطرس (Petrus). ولقد كثرت صورة الرسول بصحبة النبي موسى كلم الله فكما كان موسى في البرية قائداً ومرشداً لشعب الله الى ارض الميعاد كذلك اقم بطرس رئيساً واماماً للكنيسة المسيحية. وكثيراً ما رسموه يصطاد سكا من بحر هذا العالم كما في مدفن كاليستوس وقتاً لما قال المسيح وساجمك صياداً للناس. فتراه طوراً يضرب

(١) راجع مقالة النبية التي كتبها الاب لويس جلابرت في المشرق (٦ (١٩٠٣):

(٥٧٢) وعنوانها الرئاسة البطرسيّة في دياميس رومية ه وهناك عدّة تصاوير نُقلت عن رسوم الدياميس

الصخرة فتنبجر المياه كالانهار واخرى يلقي الشبكة على شراطي البحار وتارة يسقي الشعوب من مياه الصخرة العذبة اي المسيح. وفضلاً عن ذلك رسم مراراً امام معلمه الالهي. فنعاين الرب غير مرّة مقدماً له العهد دلالة على انه هو موسى الجديد للشعب المسيحي. وكثيراً ما ترى المسيح يسلطه المفاتيح طبقاً لما قال له: وساعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما حلتته على الارض يكون محلولاً في السموات وكل ما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السموات. وما اجمل ما نعاينه في التجف اللاتراني من بديع الرسم حيث نرى بطرس حاملاً الدرج اي العالم الخلاصية كما نشاهد ذلك في تاورس سطرت عليه هذه الكلمات: السيد يمنح شريعته. لكن الرسول لا يرث السلطان الالهي الا يرث ايضاً الوعد بانه سيحتل الآلام لاجل سيده ولذلك قد رسموه حاملاً صليبه سائر اوراق الرب يسوع. وفي صورة اخرى بينا الرب يسلطه عسا الرعاية نجد الديك امامه اشارة الى انه انكر المسيح ومع ذلك لم تنتزع عنه سلطته

ولقد جمعه المصورون مع الرسل الكرام وكنبهم اقاموا له بعض الدلائل تبيده عنهم كتاج العظمة والرفعة وعسا الرعاية او هالة مذهبة وضورها حول راسه لان الرب طربه وبيننا هو مكأل باكليل النخز والمجد نماين بقية الرسل مكشوف في الرأس كما نجد ذلك في جرن الهاد المحفوظ في راثنة. واذا قرنوا اليه صورة الرسول بولس رمزوا ايضاً الى قدرته وسلطانه وقد ميّروه بطرف طويل والقديس بولس ينظر اليه رهبة ورقاراً فطرواً يخطب امام الشعوب والانا. المصطفى يصفي الى اقواله وطوراً يمنحه درج التاموس الالهي

وعماً امتازوا به في الاجيال الاولى الصلاة لاجل الاموات. فهم يتضرعون الى القديسين بكلام وقيق كي يدخلوا الى السماء من ينز عليهم. فكانوا يضعون موتاهم تحت حماية الشهداء والمعرفين كما تقر به كتابات عديدة من الجيل الثاني. قال احدهم: ايتها القديسة بايلاً انا نكل اليك ابنتنا مينا التي عاشت عشرة اشهر (Domina Basilla, commendamus tibi Mecinen filiam nostram quae vixit menses x.) وكانوا يرددون في محفظهم ذكر موتاهم ويصلون دون لتقطاع من اجل نفوسهم ويطلبون لهم من المولى الرحيم الراحة الابدية والسلام التام وعمل هنا. ومكان نور حيث لا وجع ولا حزن ولا بكاء. بل حياة لا تقنى. ودونكم

كتابة جيمة قال كاتبها : (Ipsis , Domine, et omnibus in Christo
 quiescentibus, locum refrigerii, lucis et pacis ut indulgeas
 deprecamur) اي نسألك يا رب لهم ولكل الذين رقدوا في المسيح ان تمنحهم
 محل ندى ونور وسلام. ولقد حفظت الليتورجيات اليونانية والرومانية تلك الصلوات
 البديعة وهي ترغمنا في صلواتها لاجل الاموات
 هذا قليل ما اتينا به من الآثر ولورمنا ذكرها بطويل المقال لمضى الزمان ولم
 نزل ما تصبو اليه الاماني والارطار. ولقد صح ان ندعوها براهين الجوامد والاحجار
 وقتاً لما قال الرب في انجيله الظاهر: ولو سكت الاتام عن الكلام نطق الجهاد وغنت
 الاحجار

مؤلف الدلالة اللامعة

بقلم حضرة القس جرجس منس الماروني الحلبي

الدلالة اللامعة كتاب جليل مدار اجائه عن وحدة الكنيسة الجامعة
 الرسولية فحقيقة الرئاسة البطرسيّة المأمة وما تنفق به الكنيسة التربيّة والشرقيّة في
 المعتد كالانباتق والمطهر وما تفتقر به هذه عن تلك في الطقوس كالليتورجية والفطير
 والحخير وما يتصل بذلك بما يخالف به المنفصلون المتحدّين من الطائفة الملكية
 الكريمة. وقد طبعت الطبعة الواثيكانية بنفقة اتييسوس مطران صور المشهور في
 سنة ١٧١٠ فبقي غفلاً لا يُعرف مؤلفه

بل جرى على الالسن وتناقله الخلف عن السلف ان المطران اتييسوس هو
 مؤلف شتاته ومنشد بيتاته ورواه نفر من الخاصة على علاته من مثل المطران
 غرغوريوس عطا في مختصره التاريخي (ص ٢٤) ونقله حضرة الاب لويس شيخو
 اليسوعي في الشرق الاغر (٧١:٥) وحضرة الفاضل الحوري قسطنطين الباشا الراهب
 الخلصي في مجلة المسرة (١: ٤٦٠، ١٨:٣) الى غير هؤلاء من رجال هذا العصر
 المعروف بمصر التقيب والاستقراء.